https://kaica.org.sa/site/page/30

مجلة اللسانيات العربية
The Arabic Linguistics Journal
مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، الرياض، المملكة العربية السعودية
ISSN: 1658-9858

مجلة اللسانيات العربية، العدد 18 ، جمادى الآخرة 1445/ January 2024

منوال التّفاعل اللّغويّ القياسيّ: النّماذج الأوّليّة ومستويات الانتظام

The Canonical Model of Linguistic Interaction: Archetypes and Levels of Organization

سرور الحشيشة

قسم اللغة العربيّة، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة صفاقس، صفاقس، تونس

توثيق البحث APA Citation:

الحشيشة، سرور. (2024). منوال التّفاعل اللّغويّ القياسيّ: النّماذج الأوّليّة ومستويات الانتظام. *مجلة اللسانيات العربية*، *18*، 42-61.

استقبِل في: 1445-01-07/ رُوجع في: 1444-01-27/ قُبل في 1445-04-21/ نُشر في: 1445-06-19

Received on: 2023-07-25 / **Revised on:** 2023-08-14 / **Accepted on:** 2023-10-05 / **Published on:** 2024-01-01

الملخص

يتناول هذا البحث منوال التّفاعل اللّغويّ القياسيّ، وذلك بالرّجوع إلى بعض التّصوّرات النّموذجيّة الأوّليّة الّتي تمثّل مظاهر أساسيّة في التّجربة البشريّة القاعديّة. وهو يفحص الانتظام الشّامل للمنوال بالاستناد إلى مقاربة لانغاكر Langacker (2008) لبنية المركّب الجُمَليّ في إطار نظريّة النّحو العرفانيّ. يتعلّق المستوى الأوّل بالانتظام الخارجيّ للمنوال. وهو يفترض أنّ التّفاعل اللّغويّ لدى الكائنات البشريّة نموذج أوّليّ للتّفاعل الاجتماعيّ لديهم. وهو لذلك يُدرس في مستوى التّقابل بين النّظام العرفانيّ للملَكة اللّغويّة والنّظام العرفانيّ الاجتماعيّ. ويتعلّق المستوى الثّاني بالانتظام الدّاخليّ للمنوال. ونعالجه من خلال نموذجيْن أوّليّيْن هما المحاورة نموذجا أوّليّا للتّفاعل اللّغويّ، والعمل الكلاميّ نموذجا أوّليّا للمحاورة.

الكلمات المفتاحية: تفاعل لغويّ، منوال قياسيّ، نماذج أوّليّة، محاورة، أعمال كلاميّة.

Abstract

With reference to certain archetypal conceptions representing fundamental aspects of basic human experience, this paper addresses "The Canonical Model of Linguistic Interaction". It examines the global organization of the model based on Langacker's (2008) approach to the clause structure within the framework of Cognitive Grammar Theory. The first level relates to the external organization of the model. It assumes that linguistic interaction in human beings is an archetype of their social interaction. It is therefore studied at the interface level between the cognitive system of the language faculty and the social cognitive system. The second level relates to the internal organization of the model. It is treated through two archetypes: the conversation, as an archetype of the linguistic interaction, and the speech act, as an archetype of the conversation.

Keywords: linguistic interaction; canonical model; archetypes; conversation; speech acts.

1. مقدّمة

ندرس التّفاعل interaction اللّغويّ الذي تختص به الكائنات البشريّة من حيث هو منوال قياسيّ canonical model. ونهتمّ خاصّة بالجانب التّصوّريّ للمنوال. وهذا العمل امتداد لبحثنا[1] في التّناسبات بين مظاهر التّجربة وتصوّراتها النّموذجيّة الأوّليّة archetypal conceptions، وذلك بناء على ما ذهبت إليه نظريّة النّحو العرفانيّ[2] Cognitive Grammar Theory لدى لانغاكر Langacker (2008). فقد بيّنّا سابقا، انطلاقا من كون تلك التّصوّرات تؤدّي دور الأطرزة لعناصر الأبنية اللّغويّة، وكون هذه الأبنية تمثّل الوسيلة المحايدة في تشفير تلك التّصوّرات، أنّ ما يمكن أن تكون عليه الأبنية اللّغويّة في اللّغات الطّبيعيّة من تراتب في طرازيّتها تحدّده طبيعيّتها naturalness بالقياس إلى ما تشفّره من المجريات. وفي هذا السّياق أثبتنا بناء على مبدإ الطّبيعيّة أنّ طرازيّة المركّب الجُمَليّ clause طرازيّة كونيّة.

نقارب قياسيّة التّفاعل اللّغويّ من خلال فحص النّماذج الأوّليّة التّصوّريّة conceptual archetypes للمنوال ومستويات انتظامها فيه. فنبدأ من مستوى خارجيّ يمثّله التّفاعل عبر التّقابلات interfaces بين النّظام الاجتماعيّ والنّظام اللّغويّ. ويوافق المستوى الخارجيّ مستوى أعلى في الانتظام الشّامل لبنية المنوال يتعلّق بكون التّفاعل اللّغويّ يمثّل بدوره نموذجا أوّليّا للتّفاعل عند البشر من حيث هو ظاهرة ترتبط خاصّة بالعرفان الاجتماعيّ. وننطلق في ذلك من مفهوم الاستعمال التّفاعليّ الاجتماعيّ للّغة شكلا طرازيّا للخطاب نثبت على أساسه أنّ التّفاعل اللّغويّ هو النّموذج الأوّليّ للتّفاعل الاجتماعيّ البشريّ. وهذا نحتاج في إثباته إلى النّظر في التّقابل الجاري بين بنية الملَكة اللّغويّة وبنية الملكة الاجتماعيّة في إطار الهندسة العرفانيّة العامّة لبنية الذّهن/الدّماغ.

ثمّ نتناول انتظام المنوال داخليّا من خلال تصوّريْن نموذجيّيْن أوّليّيْن هما المحاورة conversation والعمل الكلاميّ speech act[3]. فنعالج هذين النّموذجين الأوّليّين من حيث هما مستويان تصوّريان للتّفاعل اللّغويّ القياسيّ ثانيهما مضمّن في الأوّل على الوجه الّذي تكون به المحاورة نموذجا أوّليّا للتّفاعل اللّغويّ ويكون العمل الكلاميّ نموذجا أوّليّا للمحاورة. ونبتغي بذلك فحص مظاهر طرازيّة العمل الكلاميّ في مستويين: مستوى تصوّريّ يتعلّق بمنوال التّفاعل التّحاوريّ، ومستوى دلاليّ يتعلّق بمعنى العبارة اللّغويّة أو القول المنجز. وسنهتمّ في هذا العمل بالمستوى التّصوّريّ لمنوال التّفاعل اللّغويّ القياسيّ ومستويات انتظامه. وهذا المستوى هو الّذي يتأسّس عليه المعنى اللّغويّ وما يناسبه من المنوال النّحويّ في مستوى التّشفير. ويكون هذا بمثابة الأساس الّذي يمكن أن نستدلّ بناء عليه على ما تحقّقه بنية لغويّة ما بالقياس إلى طبيعيّتها من الطّرازيّة في تشفير منوال تصوّريّ ما. ويتنزّل هذا العمل في صميم النّواة البحثيّة لمشروعنا. وتقوم هذه النّواة على البحث في الدّلالة اللّغويّة والمبادئ الّتي تنتظمها طبيعيّا بالنّظر إلى مختلف تمثيلات البنية النّحويّة.

2. منوال التّفاعل اللّغويّ من النّماذج الأوّليّة لمنوال الحدث القياسيّ

حقّقنا في بحثنا المشار إليه التّصوّرات النّموذجيّة الأوّليّة لما اصطلح عليه بمنوال الحدث القياسيّ canonical event model. وهو الطّريقة القياسيّة في إدراك ما يفترض أن يكون أكثر المجريات طرازيّة في التّجربة البشريّة الأساسيّة. واعتمدنا في ذلك مقاربة لانغاكر (2008)[4] لبنية المركّب الجُمَليّ وتحليله لمظاهر انتظام المركّبات الجُمَليّة على الوجه الّذي يفسّر طبيعيّتها

وكونيّتها. فعالجناه منوالا تصوّريّا للتّفاعلات المادّيّة الفيزيائيّة القويّة في سلسلة العمل action chain الّتي توجب نقل الطّاقة من مشارك إلى آخر. فحلّلنا التّصوّرات النّموذجيّة الأوّليّة لمنوال المشاركين المتفاعلين وسلسلة العمل والأدوار النّموذجيّة الأوّليّة. ثمّ عالجناه منوالا انبنائيّا خُطاطيّا انطلاقا من النّموذج الأوّليّ لمنوال الرّكح stage model المتعلّق بتوجيه الانتباه إلى تفاعل المشاركين في سلسلة العمل وتبئيره focusing. ثمّ حلّلنا مظاهر التّناسب بين البنية المركّبيّة الجُمَليّة وهذه التّصوّرات النّموذجيّة الأوّليّة الّتي تؤدّي دور الأطرزة بالنّسبة إلى عناصر المركّب الجمليّ مستدلّين على أنّ هذه النّماذج الأوّليّة إنّما تشفّرها خصّيصا عباراتٌ تحقّق نوعا طرازيّا من المركّب الجُمَليّ هو المركّب الجُمَليّ المتعدّي أو ما اصطلحنا عليه بالمركّب الجمليّ الفاعليّ، وتكون هي الوسيلة المحايدة في تشفير منوال الحدث القياسيّ من حيث هو نموذج أوّليّ تصوّريّ أساسيّ يمثّل طرازا لها (انظر لانغاكر Langacker، 2008، ص ص. 354-405).

ونحقّق في هذه الدّراسة فئة أخرى من النّماذج الأوّليّة تتعلّق بحدث الكلام speech event أو ما أطلقنا عليه منوال التّفاعل اللّغويّ الّذي نتناوله بوصفه واحدا من النّماذج الأوّليّة لمنوال الحدث القياسيّ والمناويل المترابطة في إطاره باعتباره منوالا مركّبا جامعا. فنضمّ منوال التّفاعل اللّغويّ إلى منوال تفاعل المشاركين في الأعمال المادّيّة وما يتوالف معه من مناويل. ونتناول منوال التّفاعل اللّغويّ بوصفه منوالا لتفاعل الشّركاء الاجتماعيّين في الأعمال اللّغويّة، يتضمّن مفاهيم أساسيّة مثل التّكلّم والسّماع والمشاركة في التّفاعل الاجتماعيّ. ويكون لتصوّرات الأعمال الكلاميّة speech acts الأساسيّة مثل التّقرير stating والأمر ordering والطّلب asking والوعد promising منزلة نموذجيّة أوّليّة في المنوال. ويندرج البحث في انتظام منوال التّفاعل اللّغويّ القياسيّ ضمن فحص مظاهر أخرى من التّجربة البشريّة الأساسيّة وذلك بالرّجوع إلى تصوّراتها النّموذجيّة الأوّليّة. وهو ما يتيح لنا مدخلا أساسيّا لوصف بنية المركّب الجُمَليّ بالرّجوع إلى صنف آخر من التّصوّرات النّموذجيّة الأوّليّة الّتي تمثّل مظاهر أساسيّة في تجربتنا، والاستدلال بناء على كون تلك التّصوّرات أطرزة لعناصر المركّب الجُمَليّ تحدّد انتظامها البنيويّ على طبيعيّة البنية المركّبيّة الجمَليّة وطرازيّتها الكونيّة.

فنبحث في النّماذج الأوّليّة التّصوّريّة لمنوال التّفاعل اللّغويّ القياسيّ والمناويل الّتي يتألّف منها. وغايتنا أن نبحث في مكوّنات المنوال التّصوّريّ للتّفاعل اللّغويّ القياسيّ وانتظامه من حيث هو جزء من منوال الحدث القياسيّ ووجه من وجوه انتظامه الشّامل. ويمكن بناء على ذلك أن نتّخذ من منوال التّفاعل اللّغويّ مظهرا أساسيّا من مظاهر انتظام المركّبات الجُمَليّة نتناوله من حيث هو منوال تصوّريّ تشفّره تشفيرا محايدا default coding أنواع من البنية المركّبيّة الجُمَليّة. ويتّجه البحث في النّماذج الأوّليّة للمنوال إلى تتبّع السّلّميّة الّتي تنتظم تركّبيّة المنوال وقياسيّته بالنّظر إلى إدراك ما يحتمل من أنواع المتصوّرات أن يكون أكثر تواترا في التّجربة كما يمثّلها المنوال التّصوّريّ من جهة، وفي التّشفير كما يمثّله المنوال النّحويّ من جهة ثانية.

نشير إلى أنّ بحثنا في النّماذج الأوّليّة للتّفاعل اللّغويّ وانتظامها في منوال قياسيّ يأخذ بعين الاعتبار اندماجها عبر منظومات التّقابل بين مختلف الأنظمة أو الملكات الذّهنيّة الّتي تتكوّن منها البنية العرفانيّة الشّاملة للذّهن/الدّماغ. فيستند عامّة إلى التّصوّر الّذي قامت عليه نظريّة الهندسة العرفانيّة في إطار ما يعرف بالنّموذج العرفانيّ cognitive paradigm مستفيدا من نتائج التّصوّر المندمج لمختلف الملَكات في الذّهن، ومنها الملَكة اللّغويّة. ذلك بأنّ البحث الدّلاليّ لم يعُد متاحا في هذا المشروع العلميّ العرفانيّ إلّا بالنّظر في التّفاعل القائم عبر تقابل الملَكة اللّغويّة مع باقي الملَكات داخل الهندسة العرفانيّة

العامّة. ونستند في الإطار النّظريّ العامّ إلى المفاهيم الأساسيّة لمبحث الخطاب في نظريّة النّحو العرفانيّ الّتي عدّها صاحبها مقاربة متأسّسة على الاستعمال usage-based approach (لانغاكر Langacker، 2008، ص. 458).

وننبّه من النّاحية المنهجيّة إلى أنّ ما يظهر من الفوارق بين نظريّة من قبيل الدّلالة التّصوّريّة لجاكندوف Jackendoff، ونظريّة من قبيل النّحو العرفانيّ للانغاكر، لا يحجب ما بين النّظريّتين من اشتراك في المبادئ العامّة. فلئن كان لانغاكر يعتبر أنّ الدّلالة هي التّصوّر في مفهومه الواسع وأنّ موضوع علم الدّلالة هو البحث في الأبنية التّصوّريّة الكامنة في المعالجة العرفانيّة cognitive processing، ولا يرى أنّ التّركيب مكوّن مستقلّ بالضّرورة وقدرة موازية للقدرة التّصوّريّة، فإنّه لا يخالف المبدأ العامّ الّذي تشترك فيه النّظريّات اللّسانيّة العرفانيّة، وهو أنّ اللّغة قدرة عرفانيّة وملَكة من ملَكات الّذهن لا يمكن أن ندرسها إلّا في سياق تفاعلها مع باقي قدرات الذّهن وملكاته.

إنّ التّفاعل اللّغويّ القياسيّ منوال للأنماط التّحاوريّة الّتي تكوّنها مناويل الأعمال الكلاميّة. وبإزاء كون الحدث القياسيّ منوالا لصلات المشاركين وتفاعلاتهم الفيزيائيّة القويّة في العمل المادّيّ، عالجنا التّفاعل اللّغويّ القياسيّ من حيث هو منوال لتفاعل الشّركاء الاجتماعيّين بأعمال الكلام. وهو ما سيتيح لنا أن نبحث في الأعمال الكلاميّة بوصفها مناويل مجرّدة من أحداث الاستعمال usage events تمتصّ الأنماط التّحاوريّة جزءا منها ومن الوحدات التّواضعيّة الّتي وافقت الأعمال نفسها لكونها من صميم أحداث الاستعمال. ولمّا كانت هذه الأعمال مخصوصة بكونها منجَزة باللّغة، كانت الوحدات والعبارات اللّغويّة المنجِزة هي البنية المشفِّرة والتّجربة المشفَّرة في الآن نفسه. ولذلك ننظر إلى العمل الكلاميّ من حيث هو مظهر أساسيّ لتجربتنا البشريّة يناسب نموذجا أوّليّا في منوال التّفاعل اللّغويّ القياسيّ الّذي يناسب بدوره نموذجا أوّليّا في منوال الحدث القياسيّ. ونعالج الأبنية اللّغويّة الّتي تتحقّق بها الأعمال الكلاميّة من حيث هي وسيلة في تشفير مناويل هذه الأعمال وما صار إليها من الأنماط التّحاوريّة والمناويل التّفاعليّة الّتي تشفّرها باعتبارها مجريات ونماذج أوّليّة للتّجربة. ونعتبر في ذلك بكون هذه الأبنية اللّغويّة مظهرا أساسيّا لأحداث الاستعمال يعادل ما تنجزه الواحدة منها من العمل الكلاميّ. فكانت البنية اللّغويّة جزءا من المنوال التّصوّريّ التّفاعليّ-التّحاوريّ الّذي تشفّره، كما كان المنوال بمستوياته التّصوّريّة للنّماذج الأوّليّة جزءا من القيمة التّواضعيّة لهذه البنية.

3. التّفاعل اللّغويّ نموذج أوّليّ للتّفاعل الاجتماعيّ

يمثّل التّفاعل اللّغويّ مظهرا أساسيّا من مظاهر التّجربة البشريّة. وهو تصوّر نموذجيّ أوّليّ لما فوقه تندرج تحته نماذج أوّليّة تصوّريّة يشكّل انتظامها منوالا قياسيّا للتّفاعل اللّغويّ لدى الكائنات البشريّة. وتقوم دراستنا لهذا المنوال على افتراض أنّ التّفاعل تصوّر اجتماعيّ بالأساس يرتبط بأنظمة المعرفة الاجتماعيّة، وأنّه بقدر ما يكون الاستعمال التّفاعليّ الاجتماعيّ للّغة لدينا شكلا طرازيّا للخطاب ونموذجا أوّليّا للتّفاعل اللّغويّ، يكون التّفاعل الّذي تؤدّيه اللّغة نموذجا أوّليّا للتّفاعل الاجتماعيّ لدى البشر.

ويتنزّل البحث في قياسيّة منوال التّفاعل اللّغويّ في مستوى التّقابل اللّغويّ-الاجتماعيّ بين بنية الملَكة اللّغويّة، أو قدرتنا على استعمال اللّغة في المقامات الاجتماعيّة، وبنية الملَكة الاجتماعيّة، أو قدرتنا على التّفاعل الاجتماعيّ في مفهومه

الواسع. ونعتبر في ذلك بما يميّز التّفاعل الاجتماعيّ لدينا من أنّنا قادرون على استعمال اللّغة لنعبّر عن تصوّراتنا وتصوّرات الآخرين. وهذا مظهر من مظاهر تجربتنا البشريّة الأساسيّة نعالجه في ضوء النّتائج الّتي أفرزها التّقابل بين الملَكة اللّغويّة وسائر ملَكات الذّهن في إطار ما يعرف بالنّموذج العرفانيّ. وبقدر استفادتنا من هذه النّتائج في فهم التّجربة الاجتماعيّة البشريّة ومظاهر التّفاعل اللّغويّ-الاجتماعيّ فيها نستفيد منها في وصف المعنى اللّغويّ وتفسيره.

1.3 الخطاب استعمال تفاعليّ اجتماعيّ للّغة

ننطلق من التّصوّرات الأساسيّة الّتي انبنت عليها نظرة النّحو العرفانيّ إلى الخطاب. وهو أنّ الخطاب أساس البنية اللّغويّة. وما الفرق بينه وبين والمستويات الأدنى في الكلام، كالكلمة المفردة والمركّب والجملة، إلّا مسألة درجات. ذلك بأنّ الخطاب هو المجال الّذي تجتمع فيه البنية والاستعمال usage/use والاكتساب. وقد نظر لانغاكر (2008) في أسس البنية اللّغويّة من خلال مفهومين أساسيّين هما الاستعمال والتّفاعل. واللّغة عنده تُتعلّم من خلال استعمالها التّفاعليّ interactive use في المقامات الاجتماعيّة. وهو ما يفسّر اعتبار الاستعمال والتّفاعل الاجتماعيّ عاملين أساسيّين في وصف البنية اللّغويّة. والخطاب من حيث هو استعمال اللّغة الكامنة في أنماط الاستعمال التّواضعيّة conventional patterns of usage عبارة عن سلسلة من أحداث الاستعمال الّتي تختلف معاييرها وضوابطها بحسب الغايات التّحليليّة. فيمكن أن يقطّع الخطاب إلى كلمات ومركّبات جمَليّة وجمل ومجموعات تنغيميّة ومناوبات تحاور وما إلى ذلك. وأحداث الاستعمال ثنائيّة القطب تتكوّن من قطب تصوّريّ وآخر تعبيريّ. ويتضمّن حدث الاستعمال في المستوى التّصوّريّ، فضلا عمّا هو مصرّح به، الفهمَ السّياقيّ التّامّ للعبارة، أي ما يُضمَّن فيها وما يُستحضر بصفته أساسا لإدراكها وفهمها. ويتضمّن في المستوى التّعبيريّ التّفصيلات الصّوتيّة التّامّة لملفوظ ما وكلّ أنواع العلامات من قبيل إشارات الجوارح ولغة الجسد.

ولا تمثّل الوحدات اللّغويّة التّواضعيّة إلّا موردا من موارد كثيرة لأحداث الاستعمال. ذلك بأنّنا نستند خلال التّكلّم والفهم إلى كمّ هائل من معارفنا وقدراتنا الذّهنيّة ومهاراتنا التّفاعليّة. ويندرج ضمن ذلك إدراكنا للمقام الّذي يجري فيه الخطاب باعتباره وجها منه. وتشتغل هذه العوامل متفاعلة على النّحو الّذي لا يمكن أن نفصل فيه بين ما هو لغويّ وما هو غير لغويّ. فالأبنية اللّغويّة إذن ليست معزولة عن العوامل الّتي لها صلة باللّغة وأثر في اشتغالها وأدائها. وهي لذلك كامنة في مظاهر المعالجة الذّهنيّة الجارية خلال أحداث الاستعمال. وتنشأ الوحدات اللّغويّة من جريانها في أحداث الاستعمال الّتي تجرّد منها تجريدا عن طريق القواسم المشتركة المتكرّرة. وتُستعمل الوحدات المجرَّدة في أحداث أخرى. وخلال التّكلّم والفهم يُنشِط المستعملون الوحدات المناسبة الّتي توافق مَقُولتُها لعبارة ما تأويل تلك العبارة أي وصفها البنيويّ بالقياس إلى اللّغة الجاري استعمالها (انظر لانغاكر Langacker، 2008، ص ص. 457-459). ويُعتبر في معنى الوحدة المعجميّة بالدّلالة الموسوعيّة encyclopedic أي بما يُهتدَى إليه عبر المسارات التّواضعيّة من مجالات المعرفة اللّغويّة والمعرفة الخارجة عن اللّغة extralinguistic. فلا توجد حدود واضحة بين المعنى اللّغويّ لوحدة ما والمعارف والقدرات العرفانيّة الّتي هو يستدعيها في الأصل ويوظّفها ويستثمرها. ويقوم علم الدّلالة الموسوعيّة على اعتبار المعنى المعجميّ كامنا في الطّريقة المخصوصة الّتي يُهتدى بها إلى عدد مفتوح من المعارف المتعلّقة بالوحدة المعجميّة والّتي تكون مكوّناتها على درجات مختلفة من المركزيّة centrality، ويكون التّراتب فيها وجها من القيمة التّواضعيّة للوحدة. وتتراتب تخصيصات specifications المعنى المعجميّ لوحدة ما بحسب كونها على درجة عالية من

المركزيّة والإنشاط أو على درجة عالية من الهامشيّة فلا تنشط إلّا في سياقات بعينها. فيكون كلّ استعمال بمثابة نمط فريد من الإنشاط (المرجع نفسه، ص ص. 36-41).

وتفترض المقاربة الموسوعيّة أنّ لقوالب البناء building blocks مرونة تمكّنها من أن تنشئ انطلاقا من المعاني المعجميّة تمثيلات دلاليّة، وأنّه مهما يكن لهذه التّمثيلات الدّلاليّة من الاستقلال فإنّها ليس لها نجاعة تواصليّة إلّا من خلال المبادئ التّأويليّة الّتي تمثّلها خاصّة الظّواهر التّخييليّة imaginative، كالاستعارة والمزج blending، والتّخيّليّة fictivity وبناء الأفضية الذّهنيّة mental spaces. فإنتاج العبارات اللّغويّة وفهمها يستلزمان عمليّات بناء تصوّريّ من مواردها الكثيرة والمتنوّعة المعاني المعجميّة والأنماط التّأليفيّة. وتعوّل أبنيتنا الذّهنيّة، فضلا عن القدرات التّخييليّة، على طبقة تحتيّة تصوّريّة substrate conceptual يقوم عليها انبناء المعنى اللّغويّ، إذ توفّر الأساس الّذي ينبني عليه التّأويل المعجميّ والتّأليف الدّلاليّ. وهي عبارة عن التّصوّرات الّتي نحصّلها من الخطاب السّابق والمشاركة في حدث الكلام باعتباره جزءا من التّفاعل الاجتماعيّ بين المتخاطبين وإدراك السّياق المادّيّ والاجتماعيّ والثّقافيّ ومجالات المعرفة الّتي نستند إليها أو نستفيد منها بوجه ما، والّتي يدخل فيها المعرفة العامّة والمعرفة السّياقيّة contextual knowledge، وما يلحق بذلك من الظّواهر التّخييليّة والتّأويليّة.

وقد حدّد لانغاكر (2008) المعنى اللّغويّ لعبارة ما بأنّه ما يتضمّن، في مقابل إقصاء العوامل التّداوليّة غير الضّروريّة بالنّسبة إلى المعنى الجاري تشفيره لغويّا، العناصرَ الدّلاليّة الثّابتة وما يحتاج إليه من الأبنية الإضافيّة في التّصوّر وانسجامه على الوجه الّذي يعكس ما يراه المتكلّمون بحدسهم البسيط والعفويّ المعنى المقصودَ. واعتبر أنّ تأليفيّة المعنى اللّغويّ جزئيّة بالنّظر إلى كون أنماط التّأليف الدّلاليّ patterns of semantic composition لا تمثّل إلّا موردا من موارد البناء التّصوّريّ الّذي ينتج معنى العبارة اللّغويّة المركّبة من خلال ما يحصّله من تصوّرات على درجة عالية من البلورة تُعدّ لبنائها المعاني المعجميّة والأنماط التّأليفيّة الّتي لا تكون بذاتها كافية لاشتقاقها (المرجع نفسه، ص ص. 41-43).

وإذا كان الاستعمال الطّرازيّ للّغة تفاعلا في المقامات الاجتماعيّة، كان الشّكل الطّرازيّ للخطاب هو الاستعمال التّفاعليّ الاجتماعيّ. فاللّغة من حيث هي أنماط ووحدات تواضعيّة تجرّد من أحداث الاستعمال الّتي تجري فيها تنبثق من الاستعمال التّفاعليّ الاجتماعيّ. وعند إنتاج اللّغة تكلمًا وفهمًا، نستدعي من مخزوننا اللّغويّ الوحدات الّتي تناسب مَقْولة العبارة في حدث الاستعمال. ولا يطابق تحقّق الوحدات في العبارة خلال حدث الاستعمال ذاك أصل المقُولة، إذ تتّجه المقْولة إلى أن تكون أكثر تخصيصا وتبلْوُرا من الأبنية المُمَقْولِة. فاستعمال اللّغة يوجّه باستمرار المواضعات القائمة. وتولّد التّحقّقات المتكرّرة للأبنية المُمقْوَلة أنماطا جديدة تترسّخ تدريجيّا وتصير بدورها وحدات تواضعيّة متاحة للاستعمال.

3. 2 التّفاعل اللّغويّ: التّقابل بين العرفان اللّغويّ والعرفان الاجتماعيّ

إنّ تفسير كوْنِ التّفاعل الاجتماعيّ اللّغويّ نموذجا أوّليّا تصوّريّا للتّفاعل الاجتماعيّ البشريّ، وكوْن التّفاعل اللّغويّ الاجتماعيّ نموذجا أوّليّا تصوّريّا للخطاب- يوجب أن نعود إلى الهندسة العرفانيّة للملكات الذّهنيّة ونأخذ ملكة اللّغة وقضايا هندستها واكتسابها واستعمالها في إطار تفاعلاتها التّقابليّة مع الملكات الأخرى. فاستعمال اللّغة، كما يقول كلارك Clark (1996)، هو شكل من أشكال العمل المشترك joint action. والعمل المشترك هو عمل تقوم به مجموعة من الأشخاص الّذين يعملون

بالتّنسيق coordination في ما بينهم. واستعمال اللّغة من حيث هو عمل للأشياء باللّغة ليس مجرّد جمع بين متكلّم وسامع. وإنّما هو عمل مشترك يمثّله ما يقوم به المتكلّمون والسّامعون من أعمال فرديّة ينجزونها بالتّنسيق داخل مجموعات (كلارك Clark، 1996، ص. 3). وتندرج دراسة استعمال اللّغة من حيث هو صنف من الأعمال المشتركة ضمن العلوم العرفانيّة والاجتماعيّة. فأمّا العرفانيّون فمعنيّون بدراسة المتخاطبين بوصفهم أفرادا لكلّ واحد منهم خلال التّخاطب نشاطه الذّهنيّ الفرديّ. وأمّا الاجتماعيّون فمعنيّون بدراسة استعمال اللّغة بوصفه عملا أو نشاطا مشتركا. فيكون تركيزهم على مجموعة الأفراد المستعملين للّغة (المرجع نفسه، ص. 24).

إنّ استعمال اللّغة عمل مشترك مخصوص بالنّوع البشريّ. وكوْنه عملا تشاركيّا بين الأفراد، وهو كذلك على الأقلّ في الشّكل الأساسيّ البارز لاستعمال اللّغة عند البشر، يقتضي أنّه عمل جماعيّ لا يمكن أن نتصوّره أو نفهمه إلّا في سياق السّلوك التّفاعليّ الاجتماعيّ للنّوع. فاستعمال اللّغة يقع في مستوى التّقابل اللّغويّ-الاجتماعيّ. وهو ما يوجب أن يكون الاستدلال على كون التّفاعل اللّغويّ من النّماذج الأوّليّة التّصوّريّة للتّفاعل الاجتماعيّ البشريّ مستندا إلى التّقابل اللّغويّ-الاجتماعيّ الّذي يندرج ضمنه استعمال اللّغة. ذلك بأنّ التّفاعل اللّغويّ سمة بارزة للمجتمع البشريّ المعوّل في حاجته إلى التّواصل والتّعاون على استعمال اللّغة باعتباره شكلا رئيسيّا للأعمال المشتركة المميّزة لتفاعلاتنا الاجتماعيّة. ويشكّل تمثيل الشّركاء الاجتماعيّين مظهرا أساسيّا من العرفان الاجتماعيّ لدينا الّذي يشكّل بدوره نظاما من أنظمة العرفان النّواة core cognition. وهو جملة من الأنظمة الأساسيّة والقدرات الذّهنيّة الفطريّة المعَدّة لتشكيل الأبنية العرفانيّة وما ينتظمها من القواعد وما ينتج عنها من السّلوك، والّتي تشكّل أساس الاكتساب والتّعلّم والتّفكير. وقد بيّنت كيري Carey (2009، ص ص. 3-25) أنّ غنى مخزون التّمثيلات التّصوّريّة لدى الكائنات البشريّة إنّما هو راجع إلى الأصل الفطريّ الّذي تمثّله تمثيلات العرفان النّواة بوصفها نمطا من أنماط الأبنية التّصوّريّة لدينا يشكّل أساس الفهم التّصوّريّ لدى البشر وأساس ما يتكوّن لديهم منذ مراحل الاكتساب الأولى من تصوّرات يكتسبونها قبل اللّغة وتكون بدورها أساسا لاكتساب اللّغة لديهم.

والشّركاء الاجتماعيّون هم أعضاء المجموعة الاجتماعيّة والثّقافيّة، وهم الأشخاص في التّفاعل الاجتماعيّ. ويمثّل الشّخص مقولة أساسيّة في المعرفة الاجتماعيّة. وهو من المتصوّرات الّتي تستند إلى منظومات في الذّهن توفّر لها المعلومات اللّازمة الّتي تحتاجها الملَكة الاجتماعيّة في تعيين الأشخاص المتفاعلين وحالاتهم الذّهنيّة والعلاقات بهم (انظر غاليم، 2021، ص ص.187-188). ويشكّل النّظام العرفانيّ النّواة المتمثّل في تعيين الشّركاء الاجتماعيّين الأساس الّذي يقوم عليه اكتساب المعرفة الاجتماعيّة لدى البشر وتعلّمها باعتبارها في جوهرها معرفة تفاعليّة تقوم على مفاهيم التّواصل والتّعاون والتّحالف وما إلى ذلك. وتمثّل اللّغة وسيلة تعبيريّة مُثلى لتحقيق حاجاتهم التّفاعليّة في الحياة الاجتماعيّة. وهو ما يفسّر شدّة اتّصال اللّغة بنظريّة التّصوّرات أو الفكر. وقد افترض غاليم (ص. 141) أنّ العرفان النّواة يقيّد النّظريّة الدّلاليّة مادام هو الّذي يقيّد بنية التّصوّرات لدى الكائنات البشريّة. وهو ما يفسّر من جهته قابليّة بعض التّصوّرات لأن تبنى في نحو اللّغات الطّبيعيّة grammaticizable.

ويتنزّل التّفاعل الاجتماعيّ ضمن السّلوكات الّتي تنتجها الأنظمة الذّهنيّة المسؤولة عن الظّواهر الاجتماعيّة والثّقافيّة في إطار الهندسة العامّة للعرفان البشريّ. ويُدرج التّفاعل اللّغويّ لدى البشر من حيث هو واحد من التّصوّرات النّموذجيّة

الأوّليّة للسّلوك التّفاعليّ ووجه طرازيّ من التّجربة التّفاعليّة الاجتماعيّة لديهم ضمن التّقابل بين العرفان اللّغويّ والعرفان الاجتماعيّ. وهو مظهر بارز للتّفاعل عبر أنظمة التّقابل بين النّظام اللّغويّ وسائر الأنظمة العرفانيّة المشكّلة لبنية الذّهن/ الدّماغ لدينا. ويندرج هذا التّصوّر الاندماجيّ ضمن نظريّة شاملة للعرفان البشريّ تعتبر بالصّلة بين الجهاز الأحيائيّ للنّوع من جهة والبيئة الاجتماعيّة-الثّقافيّة من جهة ثانية. ذلك بأنّ العوامل الاجتماعيّة والثّقافيّة تقتضي أرضيّة ذهنيّة عرفانيّة تشكّل المحتوى البيئيّ وفق أنماط بنائيّة تصوّريّة بعينها، وترسم ملامح بنية العرفان الجماعيّ للحياة الاجتماعيّة والثّقافيّة لدى المجموعات البشريّة، وتوجّه مسارات استعمال اللّغة مظهرا أساسيّا مميّزا لمهاراتهم وسلوكاتهم التّفاعليّة الاجتماعيّة.

إنّ مقاربة الأعمال الّتي ينجزها البشر باللّغة بصرف النّظر عن طبيعتها وأنواعها لا يمكن أن تكون إلاّ جزءا من نظريّة المعنى اللّغويّ في اللّغات الطّبيعيّة الّتي ترتبط بنظريّة الفكر غير اللّغويّ. ويفسّر هذا الارتباط أثر تصوّرات الفكر وتمثيلاته في السّلوك اللّغويّ. من ذلك خاصّة تصوّرات المعرفة الاجتماعيّة الّتي تمثّل لدى الرّئيسيّات primates عموما جانبا هامّا من الفكر غير اللّغويّ لديها. ويمثّل التّفاعل تصوّرا أساسيّا للسّلوك الاجتماعيّ يقوم عليه اكتساب المعرفة الاجتماعيّة الّتي يستند إليها في توسيع دائرة السّلوكات التّفاعليّة. وينتج التّفاعل اللّغويّ بوصفه تصوّرا نموذجيّا أوّليّا للتّفاعلات الاجتماعيّة لدى البشر عن التّقابل بين نظام الملَكة اللّغويّة ونظام الملَكة الاجتماعيّة-الثّقافيّة من حيث هي ملكة ينتظم مضمونُها المعرفيّ الّذي يشكّله تفاعل الأنظمة الإدراكيّة والأنظمة التّصوّريّة السّلوكَ التّفاعليّ الاجتماعيّ والثّقافيّ وما يرتبط بذلك من التّصوّرات والمقولات والعلاقات الّتي تقوم عليها الحياة الاجتماعيّة-الثّقافيّة البشريّة والعرفان الجماعيّ الّذي ينتظمها.

إنّ استعمال اللّغة من حيث هو شكل من أشكال العمل المشترك لدى البشر طراز للسّلوك التّفاعليّ الاجتماعيّ لديهم. ومن الدّلائل عليه كون اللّغة تمثّل لديهم نظاما طرازيّا في التّعبير عن سائر الأنظمة التّصوّريّة الّتي تشكّل موردا أساسيّا من موارد المعاني اللّغويّة. فالبشر يشتركون مع الرّئيسيّات في المعرفة الاجتماعيّة باعتبارها مجالا أساسيّا من مجالات الفكر غير اللّغويّ لديهم. ويقتضي التّفاعل اللّغويّ، بحكم كونه ناتجا عن التّقابل بين الملكة اللّغويّة والمعرفة الاجتماعيّة، أن نتناوله من زاوية ما به تتحوّل البنية التّصوّريّة الّتي ترتبط باستعمال اللّغة وما تعبّر عنه من التّصوّرات من بنية خاصّة بالعرفان اللّغويّ للفرد المتكلّم إلى بنية اجتماعيّة تنتمي إلى العرفان الجماعيّ للمجموعة اللّغويّة. ومن المتصوّرات الأساسيّة الّتي يقوم عليها التّواصل اللّغويّ هو سعي الأشخاص المتفاعلين إلى أن يدركوا الحالات الذّهنيّة لشركائهم الاجتماعيّين واللّغويّين وكلّ ما من شأنه أن يضمن تحقّق تفاعلهم معهم من علاقات التّعاون الّتي من أبرز مظاهرها علاقات التّواصل عبر اللّغة. وممّا يمكّنهم من ذلك قدرتهم الذّهنيّة على الاشتراك في الإحالة وقدرتهم على الاشتراك في القصد من حيث هما قدرتان تواصليّتان يقوم عليهما السّلوك التّعاونيّ في مختلف مظاهر التّفاعل الاجتماعيّ عموما وفي التّفاعل اللّغويّ على وجه الخصوص. فالتّواصل اللّغويّ مظهر أساسيّ للسّلوك التّعاونيّ البشريّ الّذي يشكّل بدوره مظهرا أساسيّا للسّلوك التّفاعليّ لدى البشر (انظر غاليم، 2021، ص ص. 147-167).

وقد بيّن توماسيلو Tomasello وآخرون (2005، ص ص. 675-680) أنّ ما يميّز العرفان البشريّ عن العرفان لدى الأنواع الأخرى هو القدرة على التّشارك في الأنشطة التّعاونيّة وذلك بتقاسم الأهداف والمقاصد أو ما يصطلح عليه بالقصد المشترك Joint intention. وهو ما يتطلّب الحوافز الخاصّة بالنّوع لتقاسُم الحالات النّفسيّة والذّهنيّة والمشاعر والأفكار

والتّجارب مع الأشخاص الآخرين، والّذي يحتاجون فيه إلى معرفة أنّهم يتقاسمون وشركاءهم القصد المشترك وإلى بنيات خاصّة للتّمثيل العرفانيّ يتفرّد بها البشر دون غيرهم من الأنواع، إذ البشر يملكون مهارات في قراءة الذّهن mind reading يتفوّقون فيها على غيرهم من الأنواع. ومن مهاراتهم الأساسيّة في ذلك فهم المقاصد الّتي تمكّن من تفسير أعمال شركائهم الاجتماعيّين وسلوكاتهم وتوقّع ما يمكن أن يصدر عنهم منها. وهذا هو الأساس الّذي ينبني عليه التّعاون ويضمن تَحقُّق التّفاعل ونجاحه. وحسب هؤلاء الباحثين يفسّر السّلوك التّعاونيّ لدى البشر وما يقوم عليه من تصوّرات ما ينتج عنه من أبنية العرفان الثّقافيّ وأشكاله التّطوّريّة الّتي يتفرّد بها النّوع والّتي تمكّن أفراده من إبداع الرّموز اللّغويّة واستعمالها وبناء الأعراف والمؤسّسات الاجتماعيّة. ذلك بأنّ صغار البشر ينمّون منذ سنّ مبكّرة القدرة على بناء التّمثيلات العرفانيّة الحواريّة الّتي تمكّنهم من اكتساب العرفان الجماعيّ والمشاركة فيه. فالأشخاص يتفاعلون اجتماعيّا على أساس ما يتقاسمونه من القصد. ويشير القصد المشترك إلى التّفاعلات والأنشطة التّعاونيّة الّتي تختلف درجة تعقيدها والّتي يكون فيها للشّركاء هدف مشترك وأدوار عمل منسّقة فيما بينهم تضمن تحقيق هذا الهدف. ويجب أن تتضمّن أهداف كلّ واحد من المتفاعلين ومقاصده شيئا من أهداف الآخرين ومقاصدهم باعتباره جزءا من مضمونها. وإذ يتقاسم الأشخاص في المجموعات الاجتماعيّة المركّبة والواسعة المقاصد في مقامات تفاعليّة خاصّة على نحو متكرّر تنبثق الممارسات والمعتقدات الاجتماعيّة الّتي تشكّل عادات المجتمع وثوابته المؤسّسيّة، كالزّواج والحكم والمال، الّتي لا توجد إلّا بموجب الممارسات والمعتقدات المشتركة لمجموعة مّا.

ومن أبرز القدرات العرفانيّة الّتي يتأسّس عليها تصوّر القصد المشترك والتّعاون لدى البشر باعتبارهما من ضرورات التّفاعل اللّغويّ والتّفاعل الاجتماعيّ-الثّقافيّ عامّة، القدرة على الانتباه المشترك Joint attention أو ما يصطلح عليه بآليّة الانتباه المشترك Shared Attention Mechanism (SAM) (انظر Fitch، 2010، ص ص. 136-139). وهي واحدة من القدرات المعقّدة الّتي يطوّرها الفرد على امتداد مراحل من نموّه والّتي تشكّل الأرضيّة العرفانيّة المشتركة الّتي يقوم عليها السّلوك التّعاونيّ لديهم. فقدرة الكائن البشريّ على أن يشارك الآخرين انتباههم إلى الأشياء هي الأساس الّذي يمكّنه من فهم مقاصدهم ونواياهم في ما يصدر عنهم من الأعمال والسّلوكات ومشاركتهم حالاتهم الذّهنيّة لمعرفة ما يمكن أن يصدر عنهم لاحقا من ذلك. والمحاورة هي نشاط تعاونيّ الهدف المشترك فيه هو إعادة توجيه قصد السّامع وانتباهه على النّحو الّذي به يلتقيان مع قصد المتكلّم وانتباهه بما يضمن الحفاظ على القصد المشترك الّذي يحافظ بدوره على النّشاط التّعاونيّ خلال عمليّة التّواصل اللّغويّ (انظر توماسيلو Tomasello وآخرين، ص ص. 682-683).

إنّ اللّغة بما تتطلّبه من القدرات العرفانيّة من الملَكات الّتي يتميّز بها الكائن البشريّ والّتي تمكّنه من السّلوك التّفاعليّ باعتباره سلوكا توّجهه تصوّرات متفوّقة عرفانيّا يختصّ بها الذّكاء الاجتماعيّ البشريّ كما يمثّله طرازيّا تفاهم الأشخاص باعتبارهم شركاء اجتماعيّين ولغويّين يتقاسمون مقاصدهم وانتباههم على النّحو الّذي به يمارسون سلوكاتهم التّعاونيّة والتّفاعليّة المختلفة ويضمنون جريانها واستمرارها وتوفّقهم في بلوغ ما يبتغونه بها من أعمال ومقاصد وتأثيرات. وقد أشار فيتش Fitch (2010، ص. 140) إلى حاجة البشر إلى أن يتشاركوا المعنى. ذلك بأنّ المتخاطبين ماينفكّون خلال عمليّة التّواصل اللّغويّ يُجْرون بتعاون شركائهم الاستنتاجات الّتي تمكّنهم من قراءة أذهانهم ومشاركتهم معانيهم وأفكارهم وأحاسيسهم باعتبارها مكوّنا من مكوّنات القدرة التّداوليّة لدى البشر. فنحن نوع يستمتع بمشاركة المعاني ويسعى إلى ذلك سعيا. وهذا المظهر من السّلوك

لدينا مركزيّ في التّواصل البشريّ مع كونه ليس خاصّا بالبشر. وهو تكيّف عرفانيّ "من أجل" اللّغة وارد بالنّسبة إلى أفراد النّوع، يتفوّق لديهم ويبلغ من الذّكاء درجة لا يبلغها عند غيرهم من الأنواع.

يتنزّل البحث في المعنى اللّغويّ ومسارات انبنائه في سياق التّقابل بين الملكة اللّغويّة وسائر الملكات ضمن الهندسة العرفانيّة العامّة للذّهن. من ذلك صلة النّظام اللّغويّ بأنظمة التّصوّرات الّتي تقوم عليها القدرات العرفانيّة الضّروريّة لبناء المعنى وإنتاجه إجمالا. واللّغة، بحكم كونها وسيلة أساسيّة لدينا للتّعبير عن أفكارنا وأفكار شركائنا الاجتماعيّين في التّفاعل، نموذج أوّليّ لتفاعلاتنا الاجتماعيّة تتقابل مع التّصوّرات، من جهة، ومع أنظمة التّفاعل الاجتماعيّ باعتبارها مسارات ذهنيّة-بيئيّة للفكر، من جهة ثانية. وقد بيّن لانغاكر Langacker (2008، ص ص. 463-464) أنّ المعنى اللّغويّ للعبارة يتحصّل من معاني الوحدات اللّغويّة التّواضعيّة باعتبارها موردا أساسيّا من موارده يُستثمر في أحداث الاستعمال. ولهذا المعنى اللّغويّ الخاصّ المرتبط بصفة مباشرة بمعاني الوحدات المعجميّة أثر في معالجتنا الذّهنيّة لما يسمّيه بالمعنى التّامّ fuller meaning، وهو معنى سياقيّ تداوليّ تحصّله موارد خارجة عن اللّغة تتضمّن كلّ ما يمكن أن يكون أساسا لإدراك العبارة وفهمها. ويناسبه في نظريّة الهندسة المتوازية Parallel Architecture Theory أو الدّلالة التّصوّريّة لجاكندوف[5] اندراج الهندسة اللّغويّة ضمن هندسة الملَكات الذّهنيّة. فلا يمكن تفسيرها إلّا في إطار تصوّر منظوميّ يستند إلى تمثيل التّقابلات والقيود التّقابليّة بين الملكات، وكون اللّغة لها علاقة ضروريّة بسائر ملكات الذّهن، ولا يمكن وصفها أو تفسيرها خارج إطار تلك العلاقة. فلا يمكن إدراك المعنى اللّغويّ وسائر مكوّنات النّظام اللّغويّ وخصائصه ومبادئ اشتغاله وتمثيله وتفسير مسارات انبنائه دون اعتبار التّفاعلات التّقابليّة بين نظام الملكة اللّغويّة وباقي الأنظمة الذّهنيّة. فالمعنى اللّغويّ إن هو إلاّ حصيلة تقابل اللّغة خلال استعمالها التّفاعليّ الاجتماعيّ مع الأنظمة والقدرات العرفانيّة الأخرى، ومنها عرفاننا الاجتماعيّ وقدراتنا التّفاعليّة مع شركائنا الاجتماعيّين واللّغويّين.

وتخزّن الوحدات اللّغويّة التّواضعيّة أثر ذلك التّقابل ممثّلا على سبيل المثال في طرق الاهتداء إلى المعرفة اللّغويّة والمعرفة الخارجة عن اللّغة والمعالجات الحوسبيّة المتعلّقة بالعمليّات الاستنتاجيّة الّتي تمثّل وسائط للمرور من المعنى اللغويّ الخاصّ أو الدّلالة إلى المعنى التّامّ من حيث هو معنى موسوعيّ تداوليّ يلعب فيه إدراك المقام وجها من مهاراتنا التّفاعليّة دورا أساسيّا في الفهم السّياقيّ التّامّ لعبارة ما، ويمثّل فيه الاستعمال التّفاعليّ للمعنى الخاصّ في المقام محفّزا أساسيّا لإنشاط ما يحتاج إليه من موارد المعرفة غير اللّغويّة أو الدّلالة الموسوعيّة للوحدات المكوّنة للعبارة على الوجه الّذي تكتسب به العبارة خلال التّكلّم والفهم تأويلها التّداوليّ أي معناها الإضافيّ الّذي يراه المتخاطبون المقصود في سياق تفاعلهم ذاك. ذلك بأنّ التّفاعل اللّغويّ مهارة سلوكيّة يكتسبها الأفراد ضمن مقامات التّفاعل الاجتماعيّ، وهو أساس انبثاق المناويل العرفانيّة الاجتماعيّة-الثّقافيّة الّتي تشتغل بمقتضاها اللّغة خلال الاستعمال والّتي هي عامل أساسيّ في تحديد الأنماط التّفاعليّة والتّشفيريّة للأبنية اللّغويّة ووصفها.

4. التّفاعل اللّغويّ القياسيّ: المحاورة والعمل الكلاميّ مستويان ينتظمان المنوال داخليّا:

4. 1 المحاورة نموذج أوّليّ للتّفاعل اللّغويّ:

إنّ تعريف الخطاب بكونه مجال التقاء اللّغة بالاستعمال، واعتبار اللّغة منبثقة من الاستعمال، واعتبار تعلّمها لذلك عمليّة تتمّ من خلال استعمالها التّفاعليّ في المقامات الاجتماعيّة، قاد من منظور تفاعليّ إلى تعريف الخطاب بأنّه سلسلة من أحداث الاستعمال الّتي تجرّد منها الوحدات اللّغويّة التّواضعيّة باعتبارها لا تمثّل إلاّ موردا واحدا من موارد كثيرة لهذه الأحداث تتمثّل في معارفنا وقدراتنا العرفانيّة ومهاراتنا التّفاعليّة وما يوجبه ذلك من قدرة على إدراك المقام.

وإذا كان الاستعمال الطّرازيّ للّغة هو الاستعمال التّفاعليّ الاجتماعيّ، كان النّموذج الأوّليّ للتّفاعل اللّغويّ القياسيّ من حيث هو تفاعل اجتماعيّ هو المحاورة، إذ "الاستعمال الرّئيسيّ للّغة استعمال تحاوريّ " (لانغاكر Langacker، 2008، ص. 459). وبناء على كون التّحاور باللّغة وجها لوجه face-to-face conversation هو الاستعمال الأصليّ والأساسيّ للّغة، أو ما يمكن أن نصطلح عليه بالاستعمال الطّرازيّ، وكلّ الأشكال والوضعيّات الأخرى لهذا الاستعمال سواء ما كان منها منطوقا أو مكتوبا أو غير ذلك من الأشكال الممكنة توصف من طريق الكيفيّة الّتي تشتقّ بها من هذا الأصل، بيّن كلارك Clark (1996، ص ص. 8-11) أنّ مبادئ استعمال اللّغة يمكن أن تنقسم إلى نوعين كبيرين، يتعلّق الأوّل بالمحاورة أو استعمال اللّغة وجها لوجه، ويتعلّق الثّاني بالطّريقة الّتي تشتقّ بها الاستعمالات الفرعيّة أو غير الطّرازيّة من المحاورة باعتبارها شكلا أصليّا أو طرازيّا لاستعمال اللّغة.

فلئن كان التّفكير اللّغويّ الصّامت من الأشكال الغالبة والأساسيّة لاستعمال اللّغة، فإنّه ليس بطرازيّة المحاورة من حيث قياسيّتها، إذ هي النّموذج الأوّليّ للاستعمال التّفاعليّ الاجتماعيّ للّغة لدينا. وهي إلى ذلك توفّر منوالا أساسيّا تحاكيه سائر الاستعمالات اللّغويّة وتطوّعه لحاجاتها. ومن هذه الاستعمالات خاصّة ما يتّخذه تفكيرنا اللّغويّ على نطاق واسع من شكل الحوار المتخيَّل imagined dialog أو الحوار الأحاديّ المنطوق spoken monolog باعتباره شكلا من الحوار يقوم فيه مخاطِب واحد بدور المتكلّم. ونحن في ذلك جميعا إمّا نحاور أنفسنا أو نحاور مخاطَبين ماثلين في أذهاننا نتخيّل ردود فعلهم كما نتخيّل ردود فعل من يشاركنا في المحاورة (لانغاكر Langacker، 2008، ص.459).

4. 2 العمل الكلاميّ نموذج أوّليّ للمحاورة:

لمّا كانت المحاورة في الأصل تفاعلا لغويّا بين المتحاورين يتضمّن سلسلة من أحداث الاستعمال الّتي هي عبارة عن أعمال actions يؤدّيها المتحاورون، وكانت العبارات أعمالا لملابستها أحداثَ الاستعمال، كان العمل هو التّصوّر النّموذجيّ الأوّليّ للمحاورة. واللّغة تستعمل استعمالا تحاوريّا لنفعل بها أشياء (Clark، 1996، ص. 3) أو نحدث بها أعمالا. ويوجب ذلك كون استعمال اللّغة عنده شكلا من أشكال العمل المشترك الّذي يقوم به المتخاطبون بالتّنسيق في ما بينهم. وإذ ينجز المتكلّمون والسّامعون باستعمال اللّغة عملا مشتركا إنّما هم يفعلون الأشياء باللّغة أو يحدثون بها أعمالا. فالنّاس يستعملون اللّغة ليتفاوضوا ويعقدوا الصّفقات ويثبتوا ويطلبوا ويعِدوا ويعتذروا وما إلى ذلك من الأعمال. وهذه الأعمال من جملة أعمال أخرى يمكن أن ننجزها

باستعمال اللّغة. وهي أعمال مشتركة يقوم بها المتخاطبون بصفتهم مجموعة من الأشخاص يفعلون الأشياء بالتّنسيق في ما بينهم (انظر المرجع السابق، ص ص.17-18).

وإذا كانت المحاورة هي الاستعمال الطّرازيّ للّغة، كانت نموذجا أوّليّا تصوّريّا للعمل المشترك الّذي يمثّله التّفاعل اللّغويّ. وكما يكون الاستعمال التّحاوريّ هو النّموذج الأوّلي للتّفاعل اللّغويّ عملا مشتركا، يكون فعل الأشياء باللّغة أو إنجاز أعمال لغويّة بها هو النّموذج الأوّليّ للعمل المشترك الّذي تحقّقه طرازيّا المحاورة. فمهما يَبْدُ الطّلب عملا فرديّا لمتكلّم طالب فإنّه لا يؤدّيه إلّا من حيث هو عمل تشاركيّ ينسّق فيه مع مخاطَب سامع مطلوب إليه. فالعمل المشترك في مقابل العمل الفرديّ هو عمل تقوم به مجموعة من الأشخاص تنسّق في ما بينها أعمالها الفرديّة ضمن عمل مشترك لبلوغ أهداف لها مشتركة. وما يؤدّيه الشّخص من العمليّات في الأعمال الفرديّة مختلف عمّا يؤدّيه منها في الأعمال المشتركة مع كونهما يمكن أن يكونا متماثلَيْن. فما ننجزه من أعمال فرديّة مستقلّة يختلف كثيرا عمّا ننجزه من أعمال فرديّة مماثلة لكن تشاركيّة تكون جزءا من أعمال مشتركة (انظر المرجع السابق، ص ص. 18-19).

ونشير إلى أنّنا نترجم المصطلحين action وact بـ"عمل". وقد أشار كلارك Clark (1996، هامش 5، ص. 17) إلى أنّ المقصود بالمصطلحات action وact وactivity هو فعل الأشياء بقصد. فأمّا العمل اللّغويّ الّذي نترجم به مصطلح linguistic action فنخصّ به في المستوى التّجريديّ الأعلى لمفهوم العمل المنجز بواسطة اللّغة، مفهومَ الاستعمال التّفاعليّ الاجتماعيّ للّغة باعتباره عملا مشتركا يؤدّيه متحاورون بالتّنسيق في ما بينهم على الوجه الّذي ينجز به كلّ متكلّم عملا يؤثّر به في السّامعين تأثيرا يوجب تفاعلهم بإنجاز أعمال أخرى. وأمّا العمل اللّغويّ الّذي نترجم به مصطلح speech act فالمقصود به هو العمل المنجز بالقول الّذي نخصّه بمصطلح العمل الكلاميّ[6]. وهو أنّنا إذ نقول ننجز أعمالا أو نفعل أشياء باللّغة. والأعمال الكلاميّة، من حيث هي أعمال فرديّة تشاركيّة يؤدّيها المتحاورون بالتّنسيق، توجّه المحاورةَ باعتبارها عملا لغويّا مشتركا. فنخصّص العمل اللّغويّ المشترك بالاستعمال التّفاعليّ الاجتماعيّ للّغة كما تحقّقه طرازيّا المحاورة نموذجا أوّليّا تصوّريّا للتّفاعل اللّغويّ القياسيّ في مقابل تخصيص الأعمال اللّغويّة الكلاميّة بالأعمال الفرديّة التّشاركيّة نماذج أوّليّة تصوّريّة للمحاورة تبني التّفاعل التّحاوريّ عملا لغويّا مشتركا.

ويقوم تصوُّر العمل نموذجا أوّليّا لما نتفاعل به من العبارات التّحاوريّة على الاعتبار بكونها أحداثا للاستعمال. وهي أعمال سواء أاعتبرنا فيها بكونها مجريات occurrences مخصوصة بالنّظر إلى مناسبات استعمالها، أم بكونها وحدات لغويّة تواضعيّة تمثّل وحداتٍ تجريديّة مستقلّة عن أيّ حدوث مخصوص وتوافق أعمالا لغويّة تسوّغها الأنماط التّحاوريّة التّواضعيّة في لغة من اللّغات من حيث هي أنماط مستقرّة تُستدعى خلال المعالجة وتُقلَّب بحسب الحاجة. وتصوّر الأعمال اللّغويّة نموذجا أوّليّا للتّفاعل التّحاوريّ من جنس تصوّر الوحدات اللّغويّة التّواضعيّة من حيث هي وحدات مستقلّة عن المجريات جُرّدت من أحداث الاستعمال. وهي تتمثّل على أنّها أعمال لكونها أنماطا مستقرّة راسخة تنتظم معالجاتنا وفق ما تستدعيه حاجات الاستعمال المتجدّدة. وهو ما يفسّر ما ذهب إليه لانغاكر Langacker (2008، ص. 459) من أنّ تعلّم لغة من اللّغات إن هو إلّا تعلّم لأعمالها وما يوجبه إنجازها إنجازا مناسبا. ومعرفة المتكلّم بلغته هي بالنّظر إلى تصوّر العمل نموذجا أوّليّا لاستعمال اللّغة عندنا قدرةٌ على تعاطي المهارات التّفاعليّة-التّواصليّة تكلُّما وفهْما.

والتّفاعل التّحاوريّ وجه أساسيّ من وجوه الطّبقة التّحتيّة التّصوّريّة الّتي يقوم عليها المعنى اللّغويّ. وهي طبقة واسعة وذات وجوه متعدّدة وضمنيّة في الغالب، منها المجالات المعرفيّة الكثيرة المستحضرة، والأبنية الذّهنيّة التّخييليّة، وما يندرج ضمن التّفاعل اللّغويّ من إدراك المقام وتوزيع الرّؤية viewing arrangement ومناويل الأعمال وما إلى ذلك (نفسه، ص. 463). ويستعمل لانغاكر مصطلح الأعمال الكلاميّة عند كلّ من أوستين Austin (1962) وسورل Searle (1969). وقد خصّص به مفهوم الأعمال الموصوفة بالإنجازيّة من قبيل التّقرير والأمر والطّلب والتّحذير وما إلى ذلك. ويشير لانغاكر Langacker (2008، ص. 470) إلى أنّ الأعمال الكلاميّة قد تتحقّق بأقوال إنجازيّة حقيقيّة true performatives فتكون قوّة العمل الكلاميّ speech-act force صريحة، وقد تتحقّق بعبارات ليست بأقوال إنجازيّة لكنّها تمثّل عند استعمالها الفعليّ أعمالا كلاميّة. وتعادل قوّةُ العمل الكلاميّ في هذه العبارات قوّته في الأقوال الإنجازيّة الصّريحة مع كونها ضمنيّة أي باعتبارها جزءا من الطّبقة التّحتيّة التّصوّريّة. فالشّائع أن ننجز الاستفهام بعبارة من قبيل "هل هي في البيت الآن؟". غير أنّ قوّة عمل الاستخبار الضّمنيّة في هذه العبارة الّتي لا تعدّ على تصديرها بحرف الاستفهام "هل" عبارة إنجازيّة حقيقيّة تعادل قوّته الصّريحة والمباشرة في قول إنجازيّ من قبيل "أسألك إن كانت في البيت الآن؟"

إنّ العمل الكلاميّ المنجز عند قول جملة ما هو حصيلة لدلالة تلك الجملة. ودراسة دلالات الجمل ليست في الأصل شيئا يتميّز عن دراسة الأعمال الكلاميّة الّتي ينجزها قول تلك الجمل في مقامات مخصوصة. ويقتضي مفهوم العمل الكلاميّ أن يُعدّ قول جملة ما في مقام مخصوص إنجازا لعمل كلاميّ مخصوص بموجب ما فيها من الدّلالة. وكلّ عمل كلاميّ محتمل يمكن أن يصاغ صياغة دقيقة في جملة ما أو عدد من الجمل يكون قولها في مقامات مخصوصة إنجازا لذلك العمل. وليست دراسة الأعمال الكلاميّة إلّا ما توجبه دراسة المعنى اللّغويّ للعبارة ممثّلا في دلالة الجمل المنجز بها. وهما دراسة واحدة لكن من زاويتين مختلفتين (انظر Searle، 1969، ص18).

وإذ كان العمل الكلاميّ معنى للعبارة يتأسّس على ما يمثّله مداها الأقصى maximal scope من حيث هو امتداد تامّ للمضمون الّذي تستحضره تلك العبارة، كان التّفاعل اللّغويّ بمختلف وجوهه وأبعاده من أسس الطّبقة التّحتيّة التّصوّريّة للعمل الكلاميّ طرازا للمحاورة. فقد خصّص لانغاكر العمل الكلاميّ تخصيصا دلاليّا. وذلك بأن ربطه بالطّبقة التّحتيّة التّصوريّة باعتباره معنى لغويّا للقول الّذي أنجزه. ويظهر ذلك خاصّة في تخصيص قوّة العمل الكلاميّ، أو ما يُصطلح عليه بالقوّة المضمّنة في القول، بأنّها صريحة في ما يسمّيه أقوالا إنجازيّة حقيقيّة، وهي تلك الّتي يكون فيها الفعل الإنجازيّ صريحا، أو ضمنيّة تمثّل جزءا من الطّبقة التّحتيّة التّصوّريّة. وربْطُ لانغاكر لإنجازيّة العمل الكلاميّ وقوّته بالطّبقة التّحتيّة التّصوّريّة الّتي يتأسّس عليها يجعل العمل الكلاميّ المنجز واحدا من التّمثيلات الدّلاليّة للعبارة اللّغويّة يتحدّد بالقياس إلى مستويات هذه الطّبقة ووجوهها الضّمنيّة. ويمثّل الوجه التّداوليّ وما يندرج ضمنه من إدراك للمقام بأبعاده المختلفة مظهرا من مظاهر التّفاعل الاجتماعيّ-اللّغويّ من حيث هو وجه من وجوه الطّبقة التّحتيّة التّصوّريّة الّتي يقوم عليها العمل الكلاميّ نموذجا أوّليّا تصوّريّا للتّفاعل التّحاوريّ، من جهة، ومعنى لغويّا يناسب تمثيلا من التّمثيلات الدّلاليّة للعبارة، من جهة ثانية.

3.4 الأنماط التّحاوريّة جزءا من مناويل الأعمال الكلاميّة

إنّ الأعمال الكلاميّة منجِزة للتّفاعل اللّغويّ التّحاوريّ والتّفاعل اللّغويّ غير التّحاوريّ. غير أنّها لمّا كانت نموذجا أوّليّا تصوّريّا للمحاورة كان العمل الكلاميّ الطّرازيّ عملا كلاميّا تحاوريّا. فكان المدخل إلى تصنيفيّة الأعمال الكلاميّة هو أن ننزّل منوال العمل ضمن منوال المحاورة نموذجا أوّليّا تصوّريّا للتّفاعل اللّغويّ القياسيّ. ولذلك سبّقنا المنوالَ المتضمِّن منوالَ التّفاعل التّحاوريّ على المنوال المتضمِّن منوال العمل. ذلك بأنّ الأعمال اللّغويّة في المحاورة منظور إليها من جهة كونها سلسلة العبارات الّتي تمثّل لبّ أحداث الاستعمال. والأعمال اللّغويّة الّتي نأخذها على أنّها عبارات تحاوريّة هي أعمال محكومة بالأنماط التّحاوريّة في اللّغات سواء أكانت هذه الأعمال منجزة لعبارات ذات جريان مخصوص أم كانت أعمالا ممكنة لوحدات تواضعيّة تجريديّة مستقلّة عن أيّ جريان مخصوص تمثّل بحكم تجريدها من أحداث الاستعمال أعمالا كامنة تجعلها الأنماط التّحاوريّة التّواضعيّة في لغة ما قابلة لأن تستعمل في أحداث أخرى مختلفة استعمالا تتعدّد طرق تحقّقه من حدث إلى آخر. فتُتصوّر الوحدات اللّغويّة على أنّها أعمال. وهذه الوحدات-الأعمال هي أنماط راسخة تنتظم نشاط المعالجة، وتستحضر لتستعمل في مناسبات لاحقة جزءا ممّا يطرأ من أحداث الاستعمال. وبين مناويل الأنماط التّحاوريّة ومناويل الأعمال الكلاميّة أسباب يعكسها دور الأنماط التّفاعليّة interactive patterns في لغة من اللّغات في تشكيل مناويل الأعمال الكلاميّة ضمن أنماطها التّحاوريّة الّتي تصير لاحقا جزءا من مناويل الأعمال وجزءا من الوحدات اللّغويّة التّواضعيّة المجرّدة من أحداث استعمالها في ما يجري من هذه المناويل درج تلك الأنماط.

ولا بدّ في مكوّنيّة الخطاب من أن ينظر إلى العبارات المكوّنة له على أنّها سلسلة من الأحداث التّفاعليّة الّتي تمثّل مجريات مترابطة. فتُدرَك الواحدةُ منها في علاقتها بباقي العبارات الّتي تتّصل بها إمّا باعتبارها سابقة لها في الخطاب، ومن وجوه اتّصال العبارة بما قبلها أن تكون مبنيّة عليه بزيادة ما أو تكون من قبيل ردّ الفعل عليه أو التّحوّل عنه إلى موضوع آخر، أو باعتبارها لاحقة عليها. فيكون من وجوه اتّصالها بها أن تمهّد لها بأن تحدّد لها الإطار. والكيفيّة الّتي ترتبط بها العبارة بما يسبقها أو بما يلحقها في الخطاب مظهر أساسيّ للمنوال التّحاوريّ له أثر حاسم في تحديد معنى العبارة. ولمّا كانت الوحدات اللّغويّة التّواضعيّة مجرّدةً من أحداث الاستعمال في الخطاب، كانت التّرابطات الخطابيّة discourse connections الّتي تخصّصها هذه الوحدات جزءا من قيمتها التّواضعيّة ترثها العبارات والخطابات الّتي تجري فيها.

وتتحدّد التّرابطات الخطابيّة من حيث هي مظهر أساسيّ لمنوال المحاورة بوصفها أنماطا تفاعليّة تمثّل جزءا من الوحدات اللّغويّة وقيمها التّواضعيّة المجرّدة من أحداث الاستعمال في الخطاب. وقد صنّف لانغاكر Langacker (2008، ص ص. 460-461) الأنماط التّفاعليّة الخطابيّة إلى مخصوصةٍ تحقّقها عبارات مخصوصة وخُطاطيّةٍ. والصّنفان عائدان إلى ما تقدحه الوحدات اللّغويّة من التّوقّعات الخطابيّة discourse expectations الّتي تستدعى بشكل خُطاطيّ، أي البنية الخُطاطيّة المتوقّعة للخطاب. وتشكّل التّوقّعات الخطابيّة جزءا من وصف الوحدات والعبارات الّتي تحقّقها. ومن الأنماط التّفاعليّة الطّرازيّة النّمط الاستباقيّ-الارتجاعيّ prospective-retrospective الّذي يفترض أنّ كلّ العناصر اللّغويّة استباقيّة وارتجاعيّة في الآن نفسه. ويكون دور هذه العناصر في كلّ المستويات اللّغويّة هو أن تقدح توقّعات بشأن بنية ما تستدعيها باعتبارها بنية خُطاطيّة. ففي المستوى الصّرفيّ، تكون السّوابق واللّواحق على التّوالي عناصر استباقيّة وارتجاعيّة بالنّسبة إلى

الجذع الّذي تلتصق به. ويمثّل نمط التّفاعل الاستباقيّ-الارتجاعيّ الّذي تحقّقه العناصر الصّرفميّة بالنّسبة إلى وحدة الجذع جزءا من التّمثيل الخُطاطيّ لتلك الوحدة. وفي المستوى التّركيبيّ للرّبط بين الجمل تنبئ أدوات من قبيل "ذلك أنّ" و"ثمّ إنّ" و"لذلك" و"لكنّ" وغيرها بمقطع خطابيّ يتكوّن من مركّبات جُمَليّة أقلّها واحد، فتكون بهذا المعنى عناصر استباقيّة. وهي إذ تحدّد ما يليها بناء على ما قد جاء قبله على النّحو الّذي يكون به ذلك المقطع إضافة لما قد قيل قبله أو تفسيرا أو بلورة أو تفصيلا أو استدراكا أو استنتاجا أو غير ذلك، تكون عناصر ارتجاعيّة. وفي المستوى المركّبيّ تكون بعض العناصر استباقيّة أو ارتجاعيّة بالنّظر إلى علاقتها التّركّبيّة بغيرها من العناصر. وتحمل الأبنية الخطاطيّة توقّعات خطابيّة بشأن الأبنية التّركيبيّة النّحويّة الّتي تمثّلها. فنتوقّع من المركّب الجُمَليّ الشّرطيّ conditional clause، أو ما يسمّى في النّحو العربيّ بجملة الشّرط، أن يتبعه مركّب جمليّ يدلّ على النّتيجة أو ما يسمّى بجملة جواب الشّرط. وفي مستوى أشمل من مستويات انتظام الخطاب تقدح عبارات من قبيل "كان يا ما كان" و"عاشوا في سعادة أبديّة" توقّعيْن: أوّلهما استباقيّ يتعلّق بأنّ ما سيأتي بعدها من الخطاب سيكون شيئا من قبيل الحكاية، وثانيهما ارتجاعيّ يتعلّق بأنّ هذه العبارة جارية لتنهي ما كان قبلها من الحكاية. ويمثّل التّوقّع الخطابيّ الّذي أدّته كلّ عبارة منهما استباقا وارتجاعا جزءا أساسيّا من توصيف العبارتين يعتمد على موضع كلّ واحدة منهما من التّمثيل الخطاطيّ للحكاية المتوقّعة منهما، وجزءا من القيم الاستعماليّة التّواضعيّة للوحدة اللّغويّة التّجريديّة الّتي تمثّلها كلّ عبارة.

وبناء على ذلك يمكن أن ننظر في الأعمال الكلاميّة نفسها باعتبارها أنماطا تفاعليّة تندرج ضمن وصف العبارات اللّغويّة الّتي تنجزها والأنماط التّحاوريّة الّتي تتضمّنها اندراجا يقوم على إدراك التّرابطات الخطابيّة الّتي تخصّصها العبارات اللّغويّة المنجِزة باعتبارها جزءا من القيمة التّواضعيّة للعبارة ومظهرا من مظاهر النّمط التّحاوريّ يرثه المنوال الّذي تجري فيه العبارات والأعمال المنجَزة بها. فتحمل الأعمال الكلاميّة توقّعات خطابيّة حول الخطاب السّابق واللّاحق وما يمكن أن يسبقها أو يلحقها من أعمال، سواء أكان ذلك من طريق عبارات وصيغ مخصوصة أم من طريق الأبنية الخطاطيّة للأنماط التّحاوريّة ومناويل الأعمال الكلاميّة. فالأعمال الكلاميّة تقدح توقّعات لمناويل تحاوريّة تستحضرها بشكل خطاطيّ. وهذه التّرابطات الخطابيّة هي أنماط تفاعليّة تخصّصها مناويل الأنماط التّحاوريّة الّتي تُستدعى في أحداث استعمال لاحقة لتنتظم نشاط المعالجة في المناويل التّحاوريّة المنجزة. وهو ما يفسّر كون الأنماط التّحاوريّة في لغة من اللّغات تمثّل جزءا من مناويل الأعمال الكلاميّة المجرّدة من أحداث الاستعمال ثمّ جزءا من القيمة التّواضعيّة للوحدات والعبارات اللّغويّة والصّيغ القوليّة المخصوص بها إنجاز عمل من الأعمال في تلك اللّغة والمنظور إليها من حيث هي وحدات لغويّة تجريديّة مستقلّة عن أيّ جريان مخصوص.

ويتّخذ التّفاعل في الخطاب قنوات channels تعبيريّة وتصوّريّة. من التّعبيريّ خاصّة قناة المادّة التّقطيعيّة الصّوتيّة المتمثّلة في سلاسل الأصوات، ثمّ قناة الظّواهر فوق المقطعيّة suprasegmental التّابعة إلى العروض prosody مثل النّبرة والنّغمة والتّجميع الإيقاعيّ والتّنغيم، والقناة الإشاريّة gestural channel المتعلّقة بإشارات اليدين وتعابير الوجه وهيأة الجسد والّتي تكون محلّ تواضع ومحلّ تنسيق مع سائر العمليّات اللّغويّة. ومن القنوات التّصوّريّة قناة المضمون أو مادّة الموضوع، وقناة البنية الإخباريّة، وقناة تصريف الخطاب management of discourse المتعلّقة بالمفاهيم التّفاعليّة كالتّناوب في المحاورة والميل إلى الحفاظ على استمراريّة المنزلة الحواريّة وما إلى ذلك (انظر لانغاكر Langacker ، 2008، ص

ص . 461-463). ولمّا كانت هذه القنوات تلازم أحداث الاستعمال، لابست النّمط التّحاوريّ من حيث هو جزء من منوال العمل الكلاميّ. فكان لقنوات التّفاعل في المناويل التّحاوريّة أنماط تمثّل جزءا من مناويل الأعمال الكلاميّة، فجزءا من الوحدات والعبارات اللّغويّة والصّيغ القوليّة التّجريديّة الّتي تمثّل قيمتها الإنجازية المرتبطة بهذه الأعمال جزءا من قيمتها التّواضعيّة العامّة. فتُتناول الأعمال الكلاميّة من حيث هي مناويل تشكّل الأنماطُ التّفاعليّة التّحاوريّة في لغة من اللّغات جزءا منها. وتمثّل هذه المناويل مظهرا أساسيّا من الوحدات والعبارات اللّغويّة جُرِّد من أحداث الاستعمال واستقرّ مع المواضعة اللّغويّة في مفهومها الواسع ضمن مناويل الأنماط التّحاوريّة في تلك اللّغة. وبناء على ذلك يمكن أن نفحص ما يتحقّق درج المناويل التّحاوريّة من مناويل الأعمال الكلاميّة الّتي تشكّل جزءا أساسيّا من الطّبقة التّحتيّة التّصوّريّة لمعنى القول كما يمثّله العمل الكلاميّ نفسه.

5. خاتمة

عالجنا التّفاعل اللّغويّ منوالا قياسيّا بحثنا في نماذجه الأوّليّة التّصوّريّة. ويأتي ذلك في سياق فحص التّصوّرات النّموذجيّة الأوّليّة الّتي تمثّل أطرزة لعناصر الأبنية اللّغويّة نستدلّ من خلالها على طرازيّتها. وكان سندنا في ذلك ما ذهبت إليه نظريّة النّحو العرفانيّ في لانغاكر (2008). فانطلقنا في ذلك من تمثيل خارجيّ يتعلّق بالتّقابل بين العرفان الاجتماعيّ والعرفان اللّغويّ اعتبرناه مستوى أعلى في انتظام المنوال. فبيّنّا العلاقة بين الاستعمال والتّفاعل ودورها في تحديد مفهوم الخطاب ووصف الأبنية اللّغويّة. وانطلاقا من كون الاستعمال الطّرازيّ للّغة استعمالا تفاعليّا اجتماعيّا أثبتنا أنّ التّفاعل اللّغويّ لدى الكائنات البشريّة إن هو في الأصل إلّا نموذج أوّليّ للتّفاعل بما هو متصوّر يرتبط عندهم أساسا بالمعرفة الاجتماعيّة. وتندرج الوحدات اللّغويّة التّواضعيّة ضمن موارد أحداث الاستعمال الّتي تجرّد منها، إذ تمثّل الدّلالة الموسوعيّة للوحدات المعجميّة المهتدى إليها عبر المسارات المتواضع عليها والّتي تتكوّن من مجالات للمعرفة اللّغويّة ومجالات للمعرفة الخارجة عن اللّغة مع ما يتركّب معها الأنماط التّأليفيّة موردا أساسيّا للمعنى اللّغويّ.

وفي هذا السّياق تناولنا متصوّر التّفاعل في مستوى التّقابل اللّغويّ-الاجتماعيّ مستندين في ذلك إلى فرضيّات ومفاهيم أساسيّة لعدد من الأعمال البارزة في اللّسانيّات العرفانيّة وعلم النّفس العرفانيّ. فربطنا الاستعمال التّفاعليّ للّغة لدى البشر بالعمل المشترك بوصفه سلوكا تفاعليّا اجتماعيّا. ثمّ ربطناه بعدد من التّمثيلات والمتصوّرات المتعلّقة بنظام العرفان الاجتماعيّ عند الرّئيسيّات عموما والبشر بوجه خاصّ مثل تمثيل الشّركاء الاجتماعيّين الّذي يقوم عليه التّعاون باعتباره مظهرا بارزا للسّلوك التّفاعليّ يوجب الحاجة إلى إدراك الحالات الذّهنيّة للشّركاء. ويختصّ السّلوك التّعاونيّ لدى البشر بالقدرة على الاشتراك في القصد باعتبارها قدرة تواصليّة يقوم عليها خاصّة التّفاعل اللّغويّ من حيث هو مظهر أساسيّ لهذا السّلوك. ولمنوال التّفاعل اللّغويّ القياسيّ انتظام داخليّ عالجناه من خلال مستويين تعلّق أوّلهما بالمحاورة تصوّرا نموذجيّا أوّليّا للتّفاعل، وتعلّق ثانيهما بالعمل الكلاميّ تصوّرا نموذجيّا أوّليّا للمحاورة. فالعبارات اللّغويّة من حيث كانت أحداثا للاستعمال أعمال سواء أاعتبرنا بكونها مجريات مخصوصة أم بكونها وحدات تواضعيّة تجريديّة مستقلّة عن الجريان تسوّغها الأنماط التّحاوريّة في اللّغة.

وفي هذا الإطار تناولنا مسألة العلاقة بين الأنماط التّحاوريّة والأعمال الكلاميّة. فبيّنّا أنّ مناويل الأعمال تشكّلها الأنماط التّحاوريّة في اللّغات. وقد عالجنا التّرابطات الخطابيّة بوصفها نماذج طرازيّة للأنماط التّفاعليّة. وهي، إذ تمثّل جزءا من الوحدات اللّغويّة وقيمتها التّواضعيّة، تندرج ضمن النّمط التّحاوريّ باعتبارها جزءا من منوال العمل الكلاميّ. وما الأنماط التّحاوريّة في لغة من اللّغات إلاّ جزء من مناويل الأعمال الكلاميّة المندرجة عند التّحقّق ضمن هذه الأنماط. وبالنّظر إلى كون العمل الكلاميّ معنى للعبارة تكون عناصر التّفاعل اللّغويّ جزءا من الطّبقة التّحتيّة التّصوّريّة الّتي يتأسّس عليها ذلك المعنى. وتشكّل مناويل الأعمال الكلاميّة زاوية أساسيّة من هذه الطّبقة. وهي لذلك مدخل أساسيّ لفحص المبادئ الّتي تنتظم العمل اللّغويّ بوصفه واحدا من التّمثيلات الدّلاليّة للعبارة الّتي تُرصد في مستوى التّقابل بين نظام الملكة اللّغويّة وباقي الأنظمة العرفانيّة المكوّنة لبنية الذّهن/الدّماغ.

إنّ منوال التّفاعل اللّغويّ القياسيّ في ما تناولناه بالبحث نظير لمنوال الحدث القياسيّ الّذي حلّلنا نماذجه الأوّليّة التّصوّريّة واستدللنا منه على طرازيّة بنية المركّب الجُمَليّ وطبيعيّته الكونيّة من حيث كان الوسيلة المحايدة في تشفيره. فالأعمال الكلاميّة مناويل مجرّدة من أحداث الاستعمال. وهي لذلك تمتصّ الأنماط التّحاوريّة الّتي تصير جزءا منها ومن الوحدات التّواضعيّة الّتي تحقّقها. والعمل الكلاميّ نموذج أوّليّ لمنوال التّفاعل اللّغويّ القياسيّ الّذي يمكن أن نعدّه تصوّريّا من النّماذج الأوّليّة لمنوال الحدث القياسيّ. وتعادل الأبنية اللّغويّة المشفّرة للأعمال الكلاميّة والّتي هي من صميم أحداث الاستعمال الأعمال نفسها. وهي لذلك مظهر أساسيّ من مظاهر المنوال التّصوّريّ الّذي تشفّره والّذي يمثّل من جهته جزءا من قيمتها التّواضعيّة. ويمثّل التّفاعل اللّغويّ القياسيّ من حيث هو منوال للأنماط التّحاوريّة المكوّنة من مناويل الأعمال الكلاميّة مدخلا ثانيا للاستدلال على مظاهر أخرى من انتظام البنية المركّبيّة الجُمَليّة وطرازيّتها. وهو مبحث نأتيه من مناويل الأعمال الكلاميّة تصوّرا وتشفيرا.

الهوامش:

(1) الحشيشة (2021)، الطّبعة الثّانية، قيد النّشر: الفصل الثّالث من الباب الثّاني: طرازيّة المركّب الجُمَليّ الفاعليّ أيقونيّة عرفانيّة-خطاطيّة-إعرابيّة.

(2) ننبّه إلى أنّ التّرجمة التّونسيّة تستعمل المصطلحين "عِرْفَان" و"عَرْفَنَة" بإزاء المصطلح cognition، ويُستعمل في ترجمة الصّفة cognitive "عرفانيّ" و"عرفنيّ". وتستعمل التّرجمة المغربيّة "معرفة" و"معرفيّ". وتذهب التّرجمة المشرقيّة عموما إلى "إدراك" و"إدراكيّ".

(3) اعتمدنا في ترجمة مصطلح speech act مصطلح "عمل كلاميّ". ومن ترجمات المصطلح الإنجليزيّ في العربيّة "فعل كلاميّ" و"عمل لغويّ" و"فعل لغويّ". وقد ترجمنا act بـ"عمل" لأسباب تتعلّق بالفرق بين مفهوم "العمل" ومفهوم "الفعل" في الأدبيّات الدّلاليّة المعجميّة النّفسيّة. وهو أنّ العمل والفعل يخضعان كلاهما لمراقبة المنفّذ agent. غير أنّ العمل، لمّا كان مخصوصا بالأثر الثّابت في المتحمّل بعد انقضاء الحركة وكان الفعل مخصوصا بانقضاء الحدث، كان "العمل" مقدّما على "الفعل"، إذ المقصود ليس ما ينجزه المتكلّم بالقول وما يتضمّنه القول من قوّة فحسب بل كذلك ما يؤثّر به المتكلّم بما ينجزه في السّامع. ذلك بأنّ المظهر الفعليّ للعمل الكلاميّ ليس العمل المضمّن في القول في حدّ ذاته بل أثره في السّامع. وهذان وجهان للعمل لا ينفصلان، وبهما صار ما ينجزه المتكلّم بالقول عملا كلاميّا. وكذلك قدّمنا مصطلح "العمل" في ترجمة المصطلح speech act لما بين منوال الحدث القياسيّ ومنوال التّفاعل اللّغويّ القياسيّ من التّناظر الظّاهر خاصّة في ما بين مفهوم "العمل"

action نموذجا أوّليّا في منوال الحدث القياسيّ ومفهوم العمل الكلاميّ نموذجا أوّليّا في منوال التّفاعل اللّغويّ القياسيّ من المضارعة. فجعلنا العمل الكلاميّ، من حيث هو منوال لتفاعل الشّركاء الاجتماعيّين، بإزاء العمل المادّيّ، من حيث هو منوال لسلسلة التّفاعلات الفيزيائيّة للمشاركين الموجبة لنقل الطّاقة من مشارك إلى آخر والتّأثير بها في حالة المشارك المنقول إليه.

(4) عدنا إلى لانغاكر في عدد من أعماله التّأسيسيّة. ونذكر من هذه الأعمال لانغاكر (1987، 1991، 2008). واعتمدنا خاصّة لانغاكر (2008)، إذ هو يضمّ أبرز الفرضيّات والتّصوّرات الّتي انبنت عليها النّظريّة في العملين التّأسيسيّين (1987) و(1991)، ويتناولها في إطار توجّه طريف ومقترحات إضافيّة جديدة. وقد استأنسنا بترجمة الأزهر الزّنّاد للانغاكر (2008) إلى العربيّة الّتي صدرت سنة 2018 بعنوان "مدخل في النّحو العرفنيّ" (لانغاكر، 2018)

(5) من الأعمال التّأسيسيّة في نظريّة الهندسة المتوازية أو الدّلالة التّصوّريّة جاكندوف (1978، 1992، 1997، 2002).

(6) يعود مفهوم الأعمال الكلاميّة speech acts في فلسفة اللّغة إلى محاضرات أوستين أو ما يعرف بـ"محاضرات ويليام جايمس" (The William James Lectures) الّتي ألقاها بجامعة هارفارد سنة 1955 ونشرت سنة 1962 بعنوان «How to do Things with Words». ونشرت ترجمتها إلى الفرنسيّة سنة 1970 بعنوان «Quand dire, c'est faire». وقد ميّز أوستين في التّقرير بين أقوال إنجازيّة performative utterances ننجز بها أعمالا وأقوال وصفيّة constative utterances ينطبق عليها معيار التّصديق والتّكذيب. والإنجاز في ما اصطلح عليه بالأقوال الإنجازيّة إنجاز صريح يتحدّد على أساس عدد من الخصائص الشّكليّة، كصيغة الفعل وزمانه وإسناده إلى الفاعل، وهو أن يكون الفعل مثلا في صيغة المضارع المرفوع الدّالّ زمنيّا على الحال مبنيّا إلى المعلوم مسندا إلى المتكلّم. ويكون الفعل الإنجازيّ أي المنجز به العمل الكلاميّ والدّالّ على القوّة المضمّنة في القول illocutionary force صريحا. ويمكن أن يكون للجملة قيمة إنجازيّة لما فيها من قوّة مضمّنة في القول وإن لم تتوفّر فيها هذه الخصائص (انظر Austin، 1962، المحاضرة 1، ص ص. 4-7)، (انظر كذلك Lopez، 2005) وقد انطلق سورل من مقترح أوستين ليقدّم منوالا للأعمال الكلاميّة قائما على عدد من القواعد الّتي تحكم إنجاز الأقوال للأعمال الكلاميّة وتنتظم تصنيفيّة هذه الأعمال انطلاقا من مؤشّرات إنجازها (Searle، 1969، ص. 16). وقد تناول سورل الشّروط الضّروريّة والكافية لإنجاز عمل كلاميّ، وذلك بناء على أصناف مخصوصة من الأعمال الكلاميّة. وسعى إلى تحديد القواعد الدّلاليّة الّتي تنتظم استعمال الحيل اللّغويّة الّتي تسم الأقوال بأنّها أعمال كلاميّة مخصوصة. وقد فصّل القول في أصناف الأعمال الكلاميّة عند أوستين. وهو أنّ المتكلّم مدعوّ غالبا إلى أن ينجز على الأقلّ ثلاثة أصناف من الأعمال الكلاميّة. الأوّل أن يقول uttering كلمات صرافم وجملا. والثّاني أن يحيل referring ويحمل predicating. والثّالث أن ينجز أعمالا، كأن يثبت ويستفهم ويأمر ويعِد وما إلى ذلك. فأمّا قول الكلمات نفسها فإنجاز لأعمال القول أو الأعمال القوليّة utterance acts. وأمّا عمل الإحالة وعمل الحمل فإنجاز لأعمال قضويّة propositional acts. وأمّا التّقرير والاستفهام والأمر والوعد فإنجاز لأعمال مضمّنة في القول illocutionary acts (Searle، 1969، ص ص. 23-24)، ويضيف سورل إلى الثّلاثة مفهوم أوستين المتعلّق بما يسمّى أعمال التّأثير بالقول perlocutionary acts، إذ يرتبط مفهوم العمل المضمّن في القول بما يكون له من النّتائج والتّأثيرات على أعمال السّامعين وأفكارهم ومعتقداتهم وما إلى ذلك، كأن نحمل المخاطب على فعل ما طلب منه أو الاعتقاد أو الاقتناع أو التّبنّي أو الرّفض أو غير ذلك (المرجع نفسه، ص. 25)

مراجع البحث

المراجع العربيّة

الحشيشة، سرور. (2021). *من قضايا البؤرة في اللّسانيّات، مقاربة وظيفيّة-عرفانيّة*، (ط.1)، دار محمّد علي الحامّيّ للنّشر ومخبر المناهج التّأويليّة، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بصفاقس، جامعة صفاقس، صفاقس، تونس.

غاليم، محمّد. (2021). *الأنموذج المعرفيّ إطارا لاتّصال العلوم: بحث في وحدة المنهج وترابط الموضوعات*، (ط.1). الدّار التّونسيّة للكتاب، تونس.

لانغاكر، رونالد. (2018). *مدخل في النّحو العرفنيّ*. (الأزهر الزّنّاد، ترجمة) (ط.1). منشورات دار سيناترا، معهد تونس للتّرجمة، تونس.

المراجع الأجنبيّة

Austin, J.L. (1962). How To Do Things With Words, The William James Lectures, delivered at Harvard University in 1955, Oxford University Press.

Austin, J.L. (1970). Quand Dire c'est Faire, Éditions du Seuil, Paris.

Carey, S. (2009), The Origin of Concepts, Oxford University Press.

Clark, H.H. (1996). Using Language, Cambridge University Press.

Fitch, W.T. (2010). The Evolution of Language, Cambridge University Press.

Jackendoff, R. (1978). Grammar as Evidence for Conceptual Structure, in M. Halle, J. Bresnan and G.A. Miller (eds.), *Linguistic Theory and Psychological Reality*, MIT Press: Cambridge, Mass, pp. 201–228.

Jackendoff, R. (1992). Languages of the Mind: Essays on Mental Representation, MIT Press.

Jackendoff, R. (1997). The Architecture of the Language Faculty, MIT Press.

Jackendoff, R. (2002). Foundations of Language: Brain, Meaning, Grammar, Evolution. Oxford University Press.

Langacker, R.W. (1987). Foundations of Cognitive Grammar, volume I: Theoretical Prerequisites, California, Stanford: Stanford University Press.

Langacker R.W. (1991). Foundations of Cognitive Grammar, Volume II: Descriptive Application, Stanford University Press.

Langacker, W.R. (2008). *Cognitive Grammar: A Basic Introduction*, New-York, Oxford: Oxford University Press.

Lopez Alvarez, E. (2005), Performatives Speech Act Verbs in Present Day English, *INTERLINGÜÍSTICA, 16* (2), 685-702.

Searle J.R. (1969). *Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language*, Cambridge University Press.

Tomasello, M., Carpenter, M., Call, J., Behne, T., Moll, H. (2005). Understanding and Sharing Intentions: The Origins of Cultural Cognition, *Behavioral and Brain Sciences 28* (5), 675-691

بيانات الباحث

سرور الحشيشة، أستاذة اللّسانيّات المساعدة، في قسم العربيّة بكلية الآداب والعلوم الإنسانيّة في جامعة صفاقس، بتونس. حاصلة على درجة الدكتوراه في اللّسانيّات من جامعة منّوبة، تونس، عام 2016، تدور اهتماماتها البحثية حول المعجم والدّلالة والتّركيب في اللّسانيّات العرفانيّة.

AUTHOR BIODATA

Sourour Hachicha is an Assistant Professor of Linguistics, in the Department of Arabic, Faculty of Letters and Human Sciences, Sfax University, Tunisia. Dr. Hachicha obtained her PhD degree from Mannouba University (2016). Her research interests include lexicon, semantics and syntax in cognitive linguistics.

معرف أوركيد (ORCID): 0009-0003-0709-1179

Email: hachichalinguistique@gmail.com